التضاد في شعر العباس بن الأحنف

فادية محمد عبد السلام علي*
كلية التربية القصيعة ، جامعة الزيتونة ، ليبيا
dr.fadiyamuhammad@gmail
تاريخ الارسال 2026/1/25م تاريخ القبول 2026/2/18م
https://doi.org/10.66045/54786341098

Antithesis in the Poetry of Al-Abbas ibn al-Ahnaf

Fadia Mohamed Abdel Salam Ali
Al-Zaytuna University, Faculty of Education, Al-Qas'iyah
dr.fadiyamuhammad@gmail

Abstract
Qays ibn al-Mulawwah was a poet known for his refined style and beautiful expression. Contradiction (antithesis) in his poetry was a prominent feature and a central means of conveying the meanings he wished to express. Whenever he spoke of love, he was overwhelmed by longing and sorrow. In our study of antithesis in his love poetry, we found that it played a clear and evident role. He used antithesis as a means to express his pain and wounds, and to relieve himself of his suffering, which did not diminish the intensity of his love for Layla- that passionate love characterized by sincerity and the warmth of emotion.
His pain often appeared as if he were painting a picture or composing a scene. The image of pain would merge with the image of hope, creating a clear scene that seemed visible before our eyes.
Keywords: Antithesis, Poetry of Al-Abbas ibn al-Ahnaf

الملخـــــــص:
كان العباس شاعراً معروفاً بأسلوبه الرقيق والجميل ،التضاد في شعره كان أساساً ومرتكزاً للتعبير عن المعاني التي أرادها فكان يلجأ إليه كلما ضاق به الحال ،ونال درسنا في هذا البحث التضاد في شعر الحب عند العباس بن الأحنف ، فوجدنا شعره سلساً عذبا واضحاً سهلاً، وقد استخدم التضاد وسيله للتعبير عن آلامه وجراحه وللتنفيس عن معاناته التي لم تفارقه جراء صد الحبيبة له ، ذاك الحب العذري التي اتسم بالصدق وحرارة العاطفة.
منه الألم ،فيخلق منه إنتاجاً فنياً رائعاً ، حيث يرسم صورة لواقعه المؤلم ، بصورة واضحة فيؤثر في المتلقي، وكأن هذا الواقع ماثل أمامه يشاهده ويراه.
الكلمات المفتاحية : التضاد ، شعر العباس بن الأحنف

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

المقدمة :

يهدف هذا البحث إلى دراسة التضاد في شعر الحب عند العباس بن الأحنف ، ذاك أن هذا الأسلوب يعد سمة بارزة في شعره، وقد تناوله في مختلف موضوعات شعره التي انصبت في الحديث عن (فوز).

فدرسنا المواقف المتضادة بين الشاعر وصاحبته (فوز)، وموقفه في كلّ مرة تصدّه فيه.

وقد وقع اختيارنا على الجانب العاطفي في حياة الشاعر الذي جاء جلّ نتاجه فيه، وكذلك شدة وقعه على المتلقي، فنحن نعلم أن العباس أحب فتاة اسمها (فوز) وقد تعرض في سبيل هذا الحب إلى الإحباط النفسي، وصفعات من الألم والحزن، وقد عبّر العباس عن ذلك بالشعر، فحاولنا في هذا البحث الوقوف عليها وتحليلها لمعرفة موقف العباس منها.

ووقفنا في هذه الدراسة عند ثلاثة أقسام من التضاد ، أولا التضاد بين الأفعال، ثانيا التضاد بين الأسماء، ثالثا التضاد بين الأفعال والأسماء معًا، وحاولنا في كل قسم تحليل النص الشعري والوصول إلى هدف الشاعر منه، فقد عانى العباس الكثير من وراء هذا الحب.

أمّا عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التحليلي الذي يعتمد على الاستقصاء والتحليل والتفسير ومن ثم الاستنتاج حيث الوصول إلى قصد الشاعر.

وكما هو معلوم أن التضاد من الظواهر الشائعة في الأدب بنوعيه ـ الشعر والنثر ـ ف((الشعر العربي لم يخل في يوم من الأيام من التّقابلات المتضادة التي هي من خصائص الفكر))" 1"، لذلك اعتمد عليه شاعرنا، فقد أسهم هذا الفن ـالتضادـ في رسم معاناة الشاعر، وقد جعل منه وسيلة للتنفيس عن آلامه وجراحه.

ولعل طبيعة الموضوع تطلبت منا التعريف بمصطلح التضاد، فقد جاء تعريف التضاد في المعجمات العربية :((ضادّه: خالفه فهما متضادان))"2"

والتضاد في مختار الصحاح:((ضاده مضادةّ وهما متضادان))"3" كما عُرف التضاد بأنه :((الجمع بين الشيء وضدّه...مثل الجمع بين البياض و السواد، والليل والنهار))"4"

أمّا صاحب لسان العرب فقد عرّفه:((السواد و ضده البياض، و الموت ضدّ الحياة، والليل ضدّ النهار))"5".

أمّا في الاصطلاح: هو((الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين))."6"

قسم التضاد في شعر شاعرنا إلى ثلاثة أقسام ولنبدأ بالقسم الأول :

التضاد بين الأفعال:

عرف الفعل عند النحاة أنه ما دلّ على حدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، وقد استخدمه العباس للتعبير عن أحداث مرت به قصورها أفضل تصوير.

وفي ذلك يقول :

أبكى الذين أذاقوني مودتهم
حتى اذا ايقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت منتصبا
بثقل ما حملوا من ودهم قعدوا
جاروا عليّ ولم يوفوا بعهدهم
قد كنت أحسبهم يوفون أن عهدوا. "7"

التضاد وقع بين قوله (ايقظوني – رقدوا) يعبر الشاعر بهما عن الألم الذي يلازمه، فيصور لنا حالته أدق تصوير، فالقارئ لهذه الأبيات يشعر برؤية المشهد الذي رسمه الشاعر لنفسه وكثافة التضاد في الأبيات ساعدت على بيان المأساة التي يعيشها شاعرنا فبالإضافة إلى التضاد بين (ايقظوني – رقدوا) نجد التضاد في بقية الأبيات بين (استنهضوني – رقدوا) في البيت الثاني وبين (جاروا – يوفون) في البيت الثالث مقابلة عمادها التضاد وكلها عوامل تكشف عن حالة شاعرنا النفسية وتنبئ بمعاناته التي استمرت طويلا.

ويشبه نفسه بالطائر وذلك حين يقول:

أضحكني طوراً وأبكاني
كتاب مولاتي وأحياني
طرت سروراً حين أبصرته
فاعترض الشوق فأبكاني
بت بشم واعتاق له
مستغنيا عن كل ريحان
واها له من زائر مؤنس
فرج عني بعض أحزاني. "8"

يكشف الشاعر عن معاناته وآلامه من خلال التضاد الذي تمثل في البيت الأول في الفعلين (أضحكني – أبكاني) أراد السعادة التي هي مطلب كل محب مع محبوبته،

لكن هذه السعادة سرعان ما تزول فقوله (أضحكني طورا وأبكاني) دلّ على ذلك المعنى، الشاعر يحب صاحبته فقد طار سرورا ، فرحا حين أبصر كتابها (كتاب مولاتي) لكن الشوق اعترض طريقه.

الشاعر ينتابه الشوق حين بات يشم ويعشق كتابها مستغنيا به (عن كل الريحان).

ونجد التضاد في قول الشاعر حين يقارن حاله بحال صاحبته:

سرى طيف فوز آخر الليل يا لطفي

فنحى الكرى عنى وأغفى فلا أغفى

وبات الهوى لي حاسراً عن ذراعه

يلهب في الصدر الهموم ولا يطفى

وبت كأني بالثريا معلق

أناشد من يدرى ويعلم ما أخفى. "9"

لعل الحال الذي وصل إليه الشاعر جعله يصارع طيف المحبوبة ويخاصمه، وهذا يدل على شدة ما يمر به الشاعر وما يعانيه من آلام أثقلت كاهله وباتت معه تجلب له الهم والحزن، فبينما هو على هذا الحال نجد محبوبته تنام بسلام فبث شكواه إلى خالقه (أناشد من يدري ويعلم ما أخفى) وقد كشف التضاد عن كوامن واضطراب الحياة التي يعيشها الشاعر جراء بعد الحبيبة عنه فلم نجد سوى الآهات والآلام والأوجاع وكلها لا تبرد قلب الشاعر.

ومن التضاد الفعلي قول الشاعر:

يدل على ما بالحب من الهوى

تذارف عينيه إلى شخص من يهوى

وإن أضمر الحب الذي في فؤاده

فان الذي في العين والوجه لا يخفى. "10"

والناظر في النص لا يخفى عليه معاناة الشاعر كما أنه يدرك جيدًا الانكسار الذي حلّ به، ولعل الجناس الذي تمثل في قوله (الهوى – يهوى) مهّد للتضاد بين (أضمر – لا يخفى) والذي دلّ على أن المحب مهما حاول إضمار حبه إلا أنه لا يستطيع، فالوجه والعينان كفيلة بإظهاره، وإن مشاعر المحب مشاعر لا إرادية لا يملك المرء أن يتحكم فيها وسرعان ما تظهر وتنكشف وليس من السهل أن يتخلص المرء منها، وهذا ما كشف عنه التضاد فهو ((جزءًا من اللغة، هو ككل عناصر اللغة، لا يتخذ في الغالب

غاية في حد ذاته، وإنما يتخذ وسيلة لأغراض المتكلم ومن ثم لا تعترف قيمته في كونه وسيلة للتعبير إلا بالقدر الذي تدرك معه أهمية التعبير ذاته، وغايته)). "11"

ويقول:

ألا ليتنا نعمى إذا حيل بيننا

وتحيى لنا أبصارنا حين نلتقى."12"

لعل الحال التي وصل إليها الشاعر جعلته يتمنى العمى حين يفارق صاحبته وأن يبصر حينما يلتقي بها، وهذا يدل على صدق العاطفة وطغيان مشاعر الحب تجاه المحبوبة فما من أحد يتمنى زوال نعمة النظر.

وبهذا حقق التضاد دلالته التي أرادها الشاعر منه ويقول:

ما كان شاني لولا انه نكد

وشان كل غليظ القلب والكبد

ان هنت عذو إن واصلت صد وإن

اعطيت لم يلتفت نحوى ولم يكد

أقول لما ملانى جفوة وهوى

يا من كلفت به للشؤم والنكد

أشكو هواك ولا أبغى سواك وإن

جرعتني غصص الأحزان والكمد. "13"

يخاطب الشاعر محبوبته وذلك من خلال أسلوب التضاد المفعم بالألم، إذ يقارن الشاعر بين شخصيته العاشقة وبين شخصيته المحبوبة، فهذه الأبيات تبين مدى حب الشاعر للمحبوبة، بل وتصر عيه وتتمسك به، ومساحة النص قائمة على الثنائيات المتضادة مشبعة بالحزن والأسى.

يخاطب الشاعر محبوبته بنفس حزينة يعاتبها ويلومها لهذا الصد، لأنها لم تضع حداّ لعذابه، عبّر الشاعر عن هذا الحب المملوء بالعذاب من خلال الدوال الشعرية المتضادة (إن هنت عزّو إن واصلت صدو) (لا أبغى سواك جرّعتني غصص الأحزان والكمد) فهذا التضاد بين ألفاظ شاعرنا عبّر عن ذات الشاعر المتألمة فهو يقارن بين حاله وحالها، وهذا يعطي للمتلقي النظر في عالم الشاعر.

يواصل العباس حديثه المملوء بالعاطفة الجياشة ونار الهجر والبعد معتمدا على التضاد في التعبير عن مشاعره يقول:

يا دار فوز لقد أورثتني دنفا

وزادني بعد دارى عنكم شغفا
حتى متى أنا مكروب بذكركم
أمسى وأصبح صبا هائما دنفا
لا استريح ولا أنساكم أبدا
ولا أرى كرب هذا الحب منكشفا
ما ذقت بعدكم عيشا سررت به
ولا رأيت لكم عدلاً ولا نصفا
انى لأعجب من قلب يحبكم
وما رأى منكم براً ولا لطفا
لولا شقاوة جدى ما عرفتكم
إن الشقي الذي يشقى بمن عرفا. "14"

يبدأ الشاعر أبياته مناديا دار الحبيبة (يا دار الفوز) يلومها ويعاتبها، أورثني الأمل (دنفا) على بعدها فنجد الحب والهجر والوصال والبعد، يعبر شاعرنا عن معاناته بأسلوب واضح وجلي؛ ليوضح للمتلقي ما يحس به ولتصل مشاعره دون أي غموض، فهو الشاعر والهائم والمتيم ، فقد زاده البعد والفراق حبا وشغفا (وزادني بعد داري عنكم شغفا) وسيظل هذا الحب حتى الموت.

ينفي الشاعر فرحه وسروره مادام بعيداً عن دار المحبوبة وقد استخدم الحرف (لا) خمس مرات ، مرة لوحده (لا استريح) وأربع مرت مع حرف العطف الواو (ولا أنساكم أبدا) (ولا أرى كرب هذا الحب منكشفا) (ولا رأيت لكم عدلا ولا خلفا)، أضف إلى ذلك استخدامه حرف النفي (ما) في البيت الأخير ليؤكد على عمق المعاناة التي سببها ألم البعد وألم الفراق إذ عاش حياة الكآبة التي رأيناها بوضوح في نتاجه الشعري، ولم يدع الشاعر أسلوب إلا وعبر به عن هذه القسوة، ونحس من خلال الوقوف على قصائد الشاعر أنه مخلص لتجربته الشعرية وفيٌ لمشاعره اتجاه الحبيبة، وهذا يدل على أصالة الشاعر، ومصداقيته، وحسن أخلاقه، لا سيما أنه من الشعراء العذريين الذين عبروا عن مشاعرهم داخل دائرة التحرج والتعفف ولعل هذا ما نجده بارزاً في شعره وذلك من خلال الثنائيات الضدية التي ضلت سمة بارزة في أشعاره.

ويتضح نسق التضاد عبر بروز التعبير الشعري كما في قول الشاعر:

أدارى الناس عما بي وأخفيه وما يخفى
وأشتاق فلا يعلم إلا الله ما ألقى

إلى من زين الله به في عيني الدنيا
ومن أهدى لي العتب فأهديت له العتبى
إذا ما غضب العاشق فالغاية ان يرضى
ألا من يرحم الظمآ ن يستسقى فلا يسقى. "15"

الشاعر يعبر عن مآسي الهجر والبين وأثرهما على نفسيته بأسلوب شعري رائع بيّن فيه علاقات التضاد التي لا تخفى على المتلقي، ولعل مفتتح الأبيات (اداري) ما يؤكد ذلك، إذ فيه من الدلالات والمعاني ما يجسد حالة الشاعر البائسة، وعلى الرغم من أن شاعرنا يداري حالته ويحاول أن يخفيها لكن الواقع عكس ذلك (وأخفيه فما يخفى)، فعبّر عن الشوق والحزن الذي يقطن داخل نفسه جراء بعد الحبيبة عنه، إذ يحاول أن يخفي شوقه وحبه لكنه لم يستطيع فموقفه منها موقف واحد على الرغم من طول الهجر والعذاب والألم ولهذا نجده يختم أبياته طالبا منها أن ترحمه (ألا من يرحم)، ونلتمس الثنائيات الضدية في هذا النص في قوله: (أخفيه وما يخفى وأهدى لي العتب وأهديت له العتبى وغضب ويرضى)، الشاعر يوضح لنا مدى حبه للحبيبة وفي نفس الوقت يعبر عن ألمه ومعاناته.

عبث الحبيب فكان منه صدود ونأى ولم أك ذاك منه اريد
يمسى ويصبح معرضاً متغضباً وإذا قصدت إليه فهو يحيد
ويضن عنى بالكلام مصارماً وبمهجتي وبما يريد أجود
إنى أحاذر صدّه وفراقه وإن الفراق على المحب شديد
يامن دعاني ثم أدبر ظالما أرجع وانت مواصل محمود."16"

على الرغم من حب الشاعر الكبير لمحبوبة إلا أنها تعرض عنه وتصدّه ولعل لفظت (عبث) التي جاءت في بداية الأبيات ما يدل على ذلك لقد بعد الحبيب ونأى وهذا مالا يريده الشاعر، ولعل مفتتح البيت الثاني ما يؤكد على ذلك الصدّ (يمسى ويصبح معرضا متغضبا) وإذا أراد الشاعر قربه (فهو يحيد).
ولعل خوف الشاعر من بُعد الحبيب جعله يحذر صدّه وفراقه لأن الفراق (على المحب شديد).
((ولعل قدر حبه العذري أن يرى الأسى والدموع تحرق قلبه من صدها وتمنعها، والإحباط واضح بأبيات الشاعر، فعمق المعاناة التي يجسدها تظهر الواقع المتناقض

والمليء بالكثير من المتنافرات، إذ تكبل روح الشاعر ومشاعره من ذلك اللقاء الذي أصبح حلما))."17"

جدلية الأنا والآخر.

يقول شوقي ضيف : ((أن غزله العذري كان شذوذا على جيله ومجتمعه)). "18"

ويقول :

كتمت من أهوى هوانا فلم أبح
وقد كانت الأسرار باللمح تظهر
فنحن كلانا مقصد في فؤاده
من الشوق نار حرها يتسعر
فلا أنا أبدى ما اجن ولا الذي
به مثل مابى للمخافة يذكر
فيا عجبا منى ومنها وصبرنا
على ما نلاقي كيف نصبو ونصبر
فنكتم ما يخفى الضمير تحفظا
وخير الهوى ما كان يخفى ويستر
اذا غلب الصبر البكاء وهيجت
تباريحه فالصبر بالذكر يعذر. "19"

لعل مفتتح الأبيات ما يدل على آلام الشاعر ومعاناته، ذاك الحب الذي أرّق مضاجع العشاق وأحرقهم، وقد رسم من خلال ثنائية الكتمان والبوح بما يحس به، فقد أصاب الفراق قلب الحبيبة كما أصاب قلبه، وقد جعل من الشوق نار لها حرّ يشتعل ويتسعر، وقد أكد على هذا الكتمان في البيت الثالث، وقد كان كتمان حبها سببا في محرقتيهما، وقد وصل الكتمان مداه حتى تعجب الشاعر من حاله وحالها رغم المعاناة والآلام اللتين يحسان بهما، وقد عبر عن هذا الحب أصدق تعبير.

ثانيا : تضاد الأسماء

عرف النحاة الاسم بأنه اللفظ الدال على معنى في نفسه دون أن يقترن بزمن.

وقد جاء هذا النوع من التضاد في الأبيات التي وقع فيها التضاد بين اسمين، ومن قول الشاعر:

سأعطيك الرضا وأموت غما
وأسكت لا أغمك بالعتاب

رأيتك مرة تهوين وصلي
وأنت اليوم تهوين اجتنابي
وغيرك الزمان وكل شيء
يصير إلى التغير والذهاب. "20"

إن التضاد الذي حوته هذه الأبيات ينبئ بالحالة النفسية التي يعاني منها شاعرنا، وكما نرى من الأبيات وتحديديا من البيت الأول يحاول الشاعر بكل ما يملك إسعاد محبوبته مستخدما الفعل المضارع مع حرف السين (سأعطيك) ليؤكد على عطاء الشاعر الرضا لمحبوبته بينما هو يموت غما.

ثم يلوم نفسه بالسكوت (أسكت)، لا يعاتبها (لا أغمك بالعتاب) محاولة منه تقديم كل ما يسعدها وأن سعادته لا تحقق إلا بسعادتها ،التضاد ورفع بين (وصلى، اجتنابي) الذي دلّ على اهتزاز مشاعر (فوز) تجاه الشاعر وأنها قد تغيرت فهي تصله حينا وتجتنبه حينا آخر، وقد أكد هذا التعبير ما جاء في البيت الثالث (غيّرك الزمان) ثم يختم أبياته بحكمة(وكل شيء يصير إلى التغير والذهاب).

ما زالت معاناة شاعرنا مستمرة لذلك نراه يعبر عن آلامه :

أيا فوز لو أبصرتني ما عرفتني
أطول نحولي بعدكم وشحوبي
وأنت من الدنيا نصيبي فان أمت
فليتك من حور الجنان نصيبي
سأحفظ ما قد كان بيني وبينكم
وأرعاكم في مشهدي ومغيبي."21"

ينادي الشاعر صاحبته (فوز) (أيا فوز) طالبا منها أن تراه وأن رأته لن تعرفه لأن بعدها عنه وفراقها غيره إلى شخص آخر ويرى أنها نصيبه في الدنيا ويتمنى أن تكون نصيبه في الأخرة بدلا من حور العين.

ثم نراه يوصف الجناس بين (شحوبي وشجوني) ليشكو ما حل به من مرض أرقه وأتعبه حزنا على فراقها.

الشاعر مخلص ،وفيّ، لهذه العلاقة حيث أنه استخدم الفعل المضارع المقرون بالسين(سأحفظ) ليدل على صونه للعلاقة التي كانت وما زالت مستمرة في قلب الشاعر يختم بيته مستخدما التضاد بين (مشهدي، مغيبي) رغبة منه وشوقا إلى لقاء من أحب فهو يلزم نفسه بأن يرعى الود الذي بينهما في الحضور والمغيب.

((إن فهم النص الأدبي يتأتى بإدراك التلاحم الداخلي فيه؛ ولذا فأن النص كله يجب أن يوضع تحت مظلة التفسير والشرح، وأن يتركز هذا التفسير على إدراك التراكيب الدالة الشاملة ونمطية هذه التراكيب وسياقاتها الإيحائية، كل ذلك من خلال تصنيفات لا تبتعد عن النص إلا بمقدار ما تعود إليه، وان تكون الصياغة وسيلة النفاد الأساسية إلى أعماق كل هذه الأبعاد)). "22"

وتستمر معاناة الشاعر من صاحبته التي تصده ويقول:

أردت الهوى حتى إذا كان كالرحى

جعلت له قلبي بمنزلة القطب

وجاهلة بالحب لم تدر طمعه

وقد تركتني أعلم الناس بالحب. "23"

الشاعر يشكو معاملة صاحبته له، وإهمالها له وانشغالها عنه، فقد شبه الهوى بالرحى التي تدور وترحي صاحبها، وكان صدّها له بمثابة الرحى، وقد وظف التضاد بين (جاهلة، أعلم) لهذا المعنى، فما تفعله (فوز) بالشاعر يدل على أنها جاهلة بالحب وما يعانيه الشاعر من آلام وما يتعرض له من قسوة من صاحبته، و جعله أعلم الناس بالحب، وقد استخدم التكرار ليشكل نغما موسيقيا داخليا، فقد كرر لفظة (بالحب) التي عبر بها في المرة الأولى عن صاحبته في المرة الثانية عن نفسه وما يتبع ذلك من تناقض بين الحالتين.

ونجد التضاد في قوله وهو يعبر عن التشاؤم الذي جلبه له الغراب:

تعس الغراب لقد جرى بفراق

هلا جرى بتزاور وتلاق

كيف التخلص من هواك وإنما

أخذ الإله على الهوى ميثاق

ورضيت بعد تنكبي طرق الهوى

أن قيل: صاحب راية العشاق

قد كنت أشفق قبل أن يقع الهوى

لو كان عني مغنيا إشفاقي."24"

يعاتب الشاعر الغراب الذي عرف أو ارتبطت رؤيته بالتشاؤم وهذه أسطورة قديمة استمرت فترة طويلة بعد الإسلام، فقد استخدمها الشاعر ونفسه تطمح إلى اللقاء لكن هذه الأسطورة أذنت بالبعد والفراق.

والحقيق أن الشاعر يعبر عن إحباطه النفسي وواقعه المؤلم الذي يمهد للبعد والفراق وما يتبع ذلك من ألم ووجع وحزن ولعل استخدام الشاعر للفظة (تعس) ما يدل على غضبه وسخطه على الواقع المر الذي يعيشه، لقد تعب الشاعر من هذا الواقع لذلك نراه يتسأل عن التخلص من هذه المعاناة مستخدما أداة السؤال كيف (كيف التخلص من هواه) التي ما عادت تطاق، ومن الهوى الذي جلب له المتاعب علّه يعيش قرير العين مرتاح البال.

ويستمر التضاد المعبر هن أهات الشاعر يقول:

جعلتِ محلة البلوى فؤادي

وسلطت السهاد على رُقادي

ونمت خلية وفقد نومي

أما استحيا رقادك من سهادي

سأسكت إن بخلت، بجدع أنفي

وأحفظكم إلى يوم التناد

وأنصحك المودة من ضميري

وأذخر سر حبك في فؤادي."25"

الشاعر يلوم (فوز) ويعاتبها، فهي جعلت من قلبه موطن البلوى والحزن، ومن يتمنى لنفسه ذلك، إنه العشق الذي غيّر حاله وجعل من قلبه مكانا للآلام، فهي تنام هادئة البال، لا يشغلها شيء بينما هو فقد النوم، لذلك نراه يسألها في البيت الثاني (أما استحيا رقادك من سهادي؟) فقد جسّد الرقاد وجعل منه كائن حيا يلوم يستفهم ويعاتب السهاد مما أعطى للأبيات جمالا، وقد كان محور هذا الجمال التضاد الذي وقع بين السهاد والرقاد ولا غرابة في ذلك، ((إن التضاد كلما كان حادا كان أكثر قدرة على الربط النصي)).."26"

ويقول:

إن المليحة آذنت بترحل

فاقصد سبيل لقائها ووداعها

آنست من قلبي الغداة تشتتا

فبكيت قبل تشتت استجماعها. "27"

الشاعر يعبر عن مدى انهياره ومعاناته جراء رحيل (فوز) فقد عبّر عنها ب(المليحة) لمكانتها عنده، فهي تريد الرحيل لذلك قصد الشاعر (لقائها ووداعها) وفي هذين

اللفظين وقع التضاد ليعبر بهما الشاعر عن فرحة باللقاء وألم الفراق ومما يتبع ذلك من تشتت القلب، وبكاء العين، هذا التضاد ألقى بظلاله على حالة الشاعر النفسية التي تعاني من القهر والألم، فالأفعال (آذنت، آنست، تشتت) جاءت على نسق واحد وكذلك الأسماء (لقائها، وداعها، استجماعها) جاءت على نسق واحد مما أعطى النص إيقاعا موسيقيا، وتوازيا تركيبيا.

((إن الإيقاع الشعري ذو وترين متلازمين يعزفان معا في نفس المتلقي، وفي أذنيه، وهما وتر خارجي يتجلى من خلال النغم الصوتي المتمثل في الوزن والقافية ، ووتر داخلي يتجلى من خلال النغم النفسي العميق)). "28"

ويقول معبراً عن ضعفه وهوانه:

وإني لا أخشاها مسيئا ومحسنا

وأقضي على نفسي لها بالذي تقضي

فحتى متى روح الرضا لا يصيبني

وحتى متى أيام سخطك لا تمضي. "29"

يتضح من الأبيات وصول الشاعر إلى مرحلة الضعف والانكسار حتى أنه رضي بما ستقضى به (فوز) عليه وحتى وإن كان هذا الحكم ظالما غير عادل، وقد وصل به الحال إلى استبعاد الرضا من حياته، وبقاء السخط حتى أنه يسأل مستخدما أداة الاستفهام (متى) (متى أيام سخطك لا تمضي؟) وكأنها أيام جامدة لا تترك، فالتضاد الذي زخر به البيتان بين (مسيئا، محسنا، الرضا، سخطك) ساهم وبشكل كبير في رسم معاناة الشاعر، بأن سكن البلى فؤاده واستوطن الهم قلبه مودعاً الفرح، فالتضاد ((أسلوب جمالي شديد الإبهار والقدرة على التأثير في المتلقي؛ لأنه يمثل طاقة تنبيهية تجعل المتلقي يعيد النظر في قضايا شديدة البساطة والعمق في نفسه)). "30"

ويقول أيضا معبرا عن مدى شوقه وعطشه للمحبوبة:

يا من لظمآن يغشى الماء قد منعوا

منه الورود وأبقوه على الصدر

أخفى الهوى وهو لا يخفى على أحد

إني لمستتر في غير مستتر

فأكثروا أو أقلوا من ملامكم

فكل ذلك محمول على القدر. "31"

يبدأ الشاعر أبياته بالصورة التشبيهية فقد شبه شوقه ل(فوز) بالعطشان الذي منُع ورود الماء، ولعل هذه الصورة تسهم بوصول معاناته للمتلقي للتأثير فيه والإحساس بما يشعر به من ألم الصدّ والفقد وقد عبّر الشاعر عن حالته عن طريق التضاد فيحاول إخفاء الهوى لكنه (لا يخفى على أحد) ومن هذا التضاد يظهر التناغم الصوتي للألفاظ (أخفى، لا يخفى، المستتر، غير المستتر) ((فطريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بكثير من المعاني الانفعالية و العاطفية كأن تنطق بصورة وكأنها تمثل معناها تمثيلاً حقيقيًا وما يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية)). "32))

إذ يحاول التخفيف من معاناته ، فهو يشعر بمرارة العيش وضيق الحياة ولا سبيل للتنفيس عن آلامه إلا الشعر فلجأ إلى أسلوب التضاد ، وقد أحسن الاختيار ، فكان خير وسيلة للتعبير عن مشاعره فرسم لنا معاناته وفي المقابل مشاعر (فوز) تجاهه فأصاب في ذلك وصور حاله أدق تصوير ، إذ يرد الشاعر هذا الحال إلى القدر (فكل ذلك معمول على القدر) رداً على من لامه في حب (فوز).

كما نلاحظ على التضاد أنه جاء بين حالات النفي والإثبات وذلك في البيت الثاني وهذا يدل على عدم استقرار الشاعر واضطرابه.

ثالثا: التضاد الاسمي والفعلي

وهذا النوع من التضاد وقع في شعر العباس؛ إذ تحتوي المقطوعة على أبيات فيها تضاد بين أسمين و تضاد بين فعلين في الوقت نفسه بحيث لا يتم المعنى إلا بها، ومنه قوله:

ألا ليت شعري كيف اصبح عهدها
أدام على ما كان أم قد تغيرا
فإن بك مر الدهر غير ودها
وأودى به طول الزمان فأدبرا
فإني لباقي الود لا متبدل
سواها بها حتى أموت فاقبرا
فلم أر الحب أبلى لأهله
ولا مثل أهل العشق أبلى وأصبرا. "33"

الشاعر في هذه الأبيات يجسد مفهوم الحب وإنه باق على هذا الحب رغم أنه يحمل الألم والعذاب ، يناجي الشعر محبوبته التي بعدت عنه ولم يعد يعلم بماحل بها ولهذا نجده يسأل: أبقيت على هذا الحب أم تغيرت ؟ وإن هي تغيرت أأبدلت غيره؟ فإنه باق على الود لا متبدل غيرها حتى الموت يختم أبياته يلوى الحب وأن أشقى الناس أهل العشق و الحب.

وقد تجلت هذه المعاني عبر الالفاظ المتضادة (أدام أم تغير ، وغير ودها فإني لباقي الود لا متبدل) فهذه العبارات عكست لنا حياة الشاعر الداخلية وما يصحب ذلك من ألام ومعاناة.

الشاعر مشغوفا بمحبوبته وقد عبر عن هذا الشغف في نتاجه الشاعر فأصبحت صورة الحبيبة ملازمة له لا تفارقه يقول يعبر عن حبه لها رغم العذاب والحزن جراء بعدها عنه :

ما كان شاني لولا أنه نكد
وشان كل غليظ القلب والكبد
ان هنت عزو وإن واصلت صد وإن
أعطيت لم يلتفت نحوى ولم يكد
أقول لما ملاني جفوة و هوى
يامن كلفت به للشؤم والنكد
اشكو هواك ولا ابغى سواك
جرعتني غصص الأحزان والكمد. "34"

يخاطب الشاعر محبوبته وذلك من خلال أسلوب التضاد المفعم بالا لم ، إذ يقارن الشاعر بين شخصيته العاشقة وبين شخصيته المحبوبة ، فهذه الأبيات تبين مدى حب الشاعر للمحبوبة ، بل وتصر عليه وتتمسك به ، ومساحة النص قائمة على الثنائيات المتضادة مشبعة بالحز والأسى.

يخاطب الشاعر محبوبته بنفس حزنه يعاتبها ويلومها لهذا الصد ،لأنها تضع حداً ، لعذاب ، عبر الشاعر عن هذا الحب المملوء بالعذاب من خلال الدوال الشعرية المتضادة (إن هنت عزو إن واصلت صدو) (ولا أبغي سواك جرعتني غصص الأحزان والكمد) فهذا التضاد بين ألفاظ شاعرنا عبر عن ذات الشاعر المتألمة فهو يقارن بين حاله وحالها ، وهذا يعطي للمتلقي النظر في عالم الشاعر.

سيستمر الشاعر في التعبير عن معاناته وعن طريق التعبير التضادي تظهر تلك المعاناة ألم الشاعر وحرقته يقول:

أيا من اكاتمه حبه
ويظهر منى فلا ينكتم
يراني فيعلم حبي له
ويكتمني أنه قد علم
أتأذن في نشر ما قد
طويت بين الجوانح أو تحتشم
فأنت السرور وأنت البلا
وأنت السلام وأنت السقم. "35"

ينادي الشاعر محبوبته مستخدماً حرف النداء (أيا)، ومن خلال التضاد نرى آلام الشاعر ونحس بمعاناته يحاول أن يكتم هذا الحب، لكنه لا يستطيع (أكاتمه حبه ويظهر مني فلا ينكتم)، ينتقل بعد ذلك من وصفه حاله إلى وصف المحبوبة التي تعلم بحبه الشديد لها، لكنها تتجاهل ذلك، لذلك نراه في البيت الثالث يسألها أيبوح بهذا الحب؟ أم تستحي في بوحه.

يمضي بعد ذلك يسرد المتضادات فهي السرور والبلاء وهي الشفاء والسقم وذلك ليبين مقدار الألم جراء الحرمان.

فمن خلال هذه الأبيات نرى التضاد الذي جسدته علاقة الشاعر بالمحبوبة فهو يواصل رحلة الحب والألم ، على الرغم مما لاقاه من ألم البعاد والحرقة والوجع، إلا أنه يضل متمسكا بالمحبوبة مخلصا لها وفيا لمشاعره تجاهها، وهذا ما يدل على عمق ارتباط الشاعر بمن يحب يقول:

يا ذا الذي صدع الفؤاد بصده
أنت البلاء طريفه والتالد
ألقيت بين جفون عيني فرقة
فإلى متى أنا ساهر يا راقد
وإلى متى أبكى وتضحك لاهياً
عنى وأدنو في الهوى وتباعد
والى متى أنا هاتف بك في دمى
أبكى اليك وأشتكى وأناشد

أردد رقادي ثم نم في غبطة
انى امرؤ سهري لنومك حاسد
يقع البلاء وينقضي عن أهله
وبلاء حبك كل يوم زائد. "36"

الشاعر ينادي صاحبته يشكو الصد الذي حرمه الرقاد وقد ذكر الاستفهام (متى) مرتين، يتساءل عن انتهاء معاناته يتمنى أن تضع المحبوبة حدا لهذا العذاب، ثم نراه يجسد السهر في صورة إنسان (سهري لنومك حاسد) يحسده ، ولعل ما دفع الشاعر إلى عمق المعاناة والنظرة التشاؤمية للحياة والإحباط النفسي الذي سيطر على الروح المعنوية للشاعر، ولم يكتف الشاعر بذلك فحسب بل يختم أبياته بأن بلاء الغير يقع وينقضي إلا بلاء الشاعر فهو كل يوم زائد (وبلاء حبك كل يوم زائد).

لقد تجسدت علاقة الشاعر بالمحبوبة من خلال الثنائيات المتضادة فنرى في خطابه ((الهجر والحب والعشق والصد وغيرها من الدوال الشعرية المنبثقة من نصه، وقد تطابقت دلالات تلك الصور مع حالته ووضعه النفسي، فأصبحت هذه المرأة عالم الشعر الآخر يحيا بقربها ويموت من بعدها فوصالها سر الحياة الخالدة الأبدية، ولذلك فقد تنوعت صور الحب في خطابه الشعري وشكلت الثنائيات المتضادة في الحب تشكيلاً توافقا طبيعيا مع الحبيبة)). "37"

ويقول أيضًا :

اليوم طاب الهوى يا معشر الناس
وألبست فوز حبى كل إلباس
لم أنسى لا أنسى يمناها معطفه
على فؤادي ويسراها على راسي
قالت وإنسان ماء العين في لجج
يكاد ينطق عن كرب ووسواس
يطفو ويرسو غريقا ما يكفكفه
كف فيالك من طاف ومن راس
عباس ليتك سربالي على جسدي
أو ليتني كنت سربالاً لعباس . "38"

من خلال النص يتجلى التضاد يبين ألفاظ الشاعر(يمناها ، يسراها ، طافٍ رأس ، يطفو ، يرسو) إذ ينطوي النص على الوصول والهجر والقرب والبعد ، إذ يعبر عن

حالة ثم ينقلنا إلى حالة أخرى ، فنجد آلام الشاعر ومعاناته حيث الدموع (ماء العين) التي تذرف جراء الفراق فهذه الحالة أصبحت ملازمة للشاعر، فنراه يشكو دائمًا وما زاد معاناة شاعرنا إلا الذكريات التي كانت بينه وبين الحبيبة فهو لم ينس(ما أني لا أنس) ما كان بينهما من ودٍ وحب ، وقد أكد على عدم النسيان استخدامه (ما) و(لا) في تعبيره.

ولعل الاستعارة التي جاءت في البيت الأول (طاب الهوى ، ألبست فوز حبي كل إلباس) وأسلوب البديع الذي تمثل في الجناس في الألفاظ ألبست ـ إلباس ، يطفو ـ طافٍ ، يرسو ـ راس) ما دل على قدرة الشاعر في التعبير عن أحاسيسه الداخلية وما يجول في نفسه من آلام وبنيت ما لدى الشاعر من إمكانات فنية.

وهو ((يسوق قولة بعفوية وصدق وفي غير تعسف أو تصنع أو افتعال)). "39"

مل فما تعطفه حرمة واتخذ العلات أعوانا
إن ساءك الدهر بهجران فربما سرك أحيانا
لا تيأسن من وصل ذي حالة يظهر بعد الوصل هجرانا
يمل هذا مثل ما مل ذا فيرجع الوصل كما كان."40"

من معاني البيت الأول يتضح عتاب الشاعر على الدهر الذي لم يرحمه، بل كان قاسيا عليه، هذا الدهر (ما تعطفه رحمة)، بل اتخذ من العلات عونا عليه، ثم يخاطب نفسه في البيت الثاني محاولا التخفيف من معاناته ليعبر عن حقيقة فحواها إن الإساءة لا تدوم فربما يعقبها فرح وسرور فقد وقع التضاد بين الفعلين (ساء وسرّ)، فقد سبقت الإساءة السرور، ولعل الشاعر كان يعيش على أمل اللقاء بالمحبوبة؛ لكنه سرعان ما تتقلب الموازين ويعود لليأس وفقدان الأمل وذلك في البيت الثالث فقد قدم (الوصل على الهجر) وهذا التضاد وقع بين اسمين و بهما عبّر عن حالته الشعورية وما يتبع ذلك من الإحباط والانهيار جراء فقدان الأمل واليأس من اللقاء فدلالة التضاد تكشف عن آلام الشاعر ومعاناته.

ويقول العباس:

وهبت لها نفسي فضنت بوصلها فيالك من معط ومن ممتنع. "41"

يعبر الشاعر عن صورة تضادية مكثفة في بيت واحد بينه وبين فوز، فنرى التضاد

بين الفعلين في السطر الأول (وهبت، فضنت) والتضاد في الشطر الثاني بين الأسماء (معط، ممتنع)، ليرسم جراحه وآلامه، وليعبر عن حالات القلق والتوتر – بسبب الصدّ الذي تعرض له من المحبوبة فنرى الإيجاب والسلب بوضوح في تعبير الشاعر عن نفسه وما ذاك إلا لينقل معاناته للقارئ وليخفف من شعور الحزن والقهر.

الخاتمة:

إن العباس بن الأحنف شاعر عانى الكثير جراء هذا الحب، كما أنه كان صادق المشاعر تجاه صاحبته فوز.

لجأ إلى لغة التضاد وسيلة للتعبير عن معاناته، وقد أجاد في ذلك، فقد شذّ انتباه المتلقي بكل سهولة.

استخدم البساطة في التعبير، فلغته مفهومة واضحة بعيدة عن الغموض والتفكير.

جاء التضاد في شعر العباس على ثلاثة أنواع: تضاد الأفعال، تضاد الأسماء، تضاد الأفعال والأسماء.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــش:

1 عبد الكريم اليافي، جدلية أبي تمام، دار الجاحظ للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1998، ص54.

2 الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مطبعة البابي وأولاده، القاهرة، ط2، 1952.

3 مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي، دار المعارف مصر، مادة ضدد.

4 أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق- علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص276.

5 ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: نخبة من الأساتذة، دار المعارف، مصر، 1981، مادة ضدد.

6 شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله، التبيان في البيان، تحقيق: توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 1986، ص284.

7 ديوان العباس بن الحنف، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، ص50.

8 نفسه ص161.

9 نفسه ص103

10 نفسه ص4.

11 منى الساحلي، التضاد في النقد الأدبي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1996، ص217.
12 الديوان ص115 .
13 نفسه ص56-57.
14 نفسه ص102.
15 نفسه ص3.
16 نفسه ص63.
17 جاسم محمد عباس، عارف عبد صايل، جدلية الأنا والآخر في شعر (العباس بن الاحنف)- قراءة في نسقية التضاد، مجلة كلية البنات، جامعة عين شمس، العدد السابع عشر، 2016، الجزء الثالث، ص9.
18 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، دار المعارف مصر، ط2، 1969، ص73.
19 الديوان ص80- 81.
20 نفسه ص20.
21 نفسه ص5-6.
22 محمد عبد المطلب، البلاغة الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، مكتبة لبنان لونجمان، ص203.
23 الديوان ص16.
24 نفسه ص114.
25 نفسه ص61.
26 أحمد عفيفي، نحو النص ،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2000، ص13.
27 الديوان ص100.
28 هدى الصحناوي، الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة، بنية التكرار عند البياتي نموذجا، مجلة جامعة دمشق، المجلد30، العدد1-2، 2014، ص95.
29 أمجد ريان، اللغة والشكل، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 1999، ص61.
30 الديوان ص69.
31 أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، ط1، 1996، ص297.
32 الديوان ص77.
33 نفسه ص56-57.
34 نفسه ص134.
35 نفسه ص49.
36 جاسم محمد عباس، عارف عبد صايل، جدلية الأنا والآخر في شعر العباس بن الأحنف، مرجع سابق، ص14.
37 الديوان ص90.
38 مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1986، ص372.
39 الديوان ص161.
40 نفسه ص4.